الباب الثالث[1]

فى بيان من بنى البيت، وكم مرة بنى؟ وذكر بعض الآثار الدالة على فضله

(١) لم يذكر فى هذا الباب أرقام الفصول، لهذا رأى المحقق أن يخصه بذكر الفصول.

obeikandl.com

الفصل الأول

بناء الكعبة

obeikandl.com

وقد جمع الإمام المحقق الزرقانى فى (شرحه) على (الموطأ) ما ذكره الحافظ وغيرهم فى ذلك، ونصّه: أُختلف فى أول مَن بنى الكعبة، فحكى المحبُّ الطبرى: إن الله، تعالى، وضعها أولاً، لأبنياء أحد.

قال: وللأزرقى[1] عن على بن الحسين[2]: إن الملائكة بنتها قبل آدم[3]، ولعبد الرزاق عن عطاء: أول من بنى البيت، وعن وهب بن منبّه[4]: أول من بناهُ شيت بن آدم[5]. وقيل: أول من بناه إبراهيم، وجزم به

(١) أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق، مؤرخ يمانى الأصل، من مكة، له كتاب (أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار) توفى نحو سنة ٢٥٠هـ. ترجمته: الفهرست: ص ٢٢١ (دار قطرى)؛ تذكرة الحفاظ: ٢/ ٤٣١؛ العقد الثمين: ٢/ ٤٩؛ شفاء الغرام: ١/ ٢٣١؛ اللباب: ١/ ٤٧؛ النجوم الزاهرة: ٢/ ١٣٢؛ كشف الظنون: ٢/ ٢٠٦؛ الأعلام: ٣/ ١٩٢؛ معجم المؤلفين: ١/ ١٩٨؛ الأنساب: ١/ ١٨٤؛ معجم تراجم أعيان الفقهاء: ص ١٥.

(٢) على بن الحسين بن على بن أبى طالب، يعرف بزين الابدين، غنى عن التعريف (ت ٩٢هـ). ترجمته: وفيات الأعيان: ٣/ ٢٦٦؛ سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٨٦؛ الثقات: ٥/ ١٥٩؛ تهذيب التهذيب: ٧/ ٢٦٨؛ طبقات الفقهاء للشيرازى: ص ٦٣؛ تذكرة الحفاظ: ١/ ٧٠؛ حلية الأولياء: ٣/ ١٣٣.

(٣) ينظر أخبار مكة للأزرقى: ١/ ٣٤.

(٤) وهب بن منبه اليمانى، تابعى جليل له معرفة بكتب الأوائل، له كتاب فى التاريخ، عمّر طويلاً، ثم توفى سنة ١١٠هـ وقتل سنة ١١٤هـ و١١٧هـ. ترجمته: معجم الأءباء: ١٩/ ٢٦٠؛ العبر: ١/ ١٠٩ (العلمية)؛ سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٤٤؛ تذكرة الحفاظ: ١/ ٩٥؛ صفة الصفوة: ٢/ ٢٩١؛ تهذيب الأسماء: ٢ - ١/ ١٢٩؛ طبقات خليفة بن خياط: ص ٢٨٧.

(٥) الخبر فى كتاب: أخبار مكة للأزرقى: ١/ ٤٩.

ابن كثير[1] زاعمًا أن أول من بناهُ مطلقًا إذ لم يثبت عن معصوم أنه كان مبينًا قبلَهُ، ويقال عليه، ولم يثبت عن معصوم أن أوّل من بناه[2].

وقد رَوى البيهقى[3] فى (الدلائل)[4]، عن ابن عُمَرَ[5] عن النبى ﷺ قصة بناء آدم له، رواه الأزرقى[6]، وأبو الشيخ[7]، وابن

(١) ابن كثير: هو إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو عبد الله البصروى، ثم الدمشقى الشافعى، مفسر، محدث، فقيه، حافظ، مؤرخ، قدوة العلماء والحفاظ، سمع وجمع وصنف ودرس وألف، انتهت إليه رياسة العلم فى التاريخ والحديث والتفسير. له (شرح تنبيه أبى إسحاق الشيرازى) و(البداية والنهاية) و(شرح صحيح البخارى) و(الاجتهاد فى طلب الجهاد) و(جامع الأسانيد) و(تفسير القرآن العظيم). (ت ٧٧٤هـ). ترجمته: النجوم الزاهرة: ١١/ ١٢٣؛ شذرات الذهب: ٦/ ٢٣١؛ معجم المؤلفين: ٢/ ٢٨٣؛ معجم تراجم أعلام الفقهاء: ص ٢٨٤.

(٢) جاء فى تاريخ البداية والنهاية: ١/ ٢٣٥: «ولم يجىء فى خبر صحيح عن معصوم أن البيت كان مبنيًا قبل الخليل عليه لسلام».

(٣) البيهقى: هو أحمد بن الحسين بن على بن عبد الله، أبو بكر (نسبة إلى بيهق، من قرى نيسابور) فقيه شافعى، حافظ كبير، أصولى مكثر من التصنيف، له (السنن الكبرى) و(السنن الصغرى) و(الخلاف) و(مناقب الشافعى)، توفى سنة ٤٥٨هـ. ترجمته: طبقات الشافعية الكبرى: ٣/ ٣؛ وفيات الأعيان: ١/ ٧٥؛ شذرات الذهب: ٣/ ٤٠٣؛ اللباب: ١/ ٢٠٢؛ الأعلام: ١/ ١٣١.

(٤) أى (دلائل النبوة).

(٥) عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشى، محدث وصحابى (ت ٧٣هـ). ترجمته: تاريخ البخارى الكبير: ١ - ٣/ ٢؛ صفة الصفوة: ١/ ٦٣؛ أسد الغابة: ٣/ ٣٤٠؛ الاستيعاب: ٦/ ٣٠٨؛ الثقات: ٣/ ٢٠٩؛ مشاهير علماء الأمصار: ص ١٦؛ الكاشف: ٢/ ١١٢؛ معجم تراجم الفقهاء: ص ٢٤٥.

(٦) أخبار مكة للأزرقى: ١/ ١٧١.

(٧) أبو الشيخ عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، أبو محمد، محدث أصبهان. ترجمته: سير أعلام النبلاء: ١٦/ ٢٧٦.

عساكر[1] موقوفًا عن ابن عباس، وحكمة الرفع، إذ لا يقال رأيًا، وأخرج الشافعى عن محمد بن كعب القرضى[2]، قال: حجَّ آدم فلقيته الملائكة برّ نسكك يا آدم.

ولابن أبى حاتم[3] عن ابن عمران[4]: البيت رفع فى الطوفان[5] فكان الإسلام بعد ذلك يحجونه ولا يعلمون مكانه حتى بوأهُ الله تعالى لإبراهيم فبناه على أساس آدم، وجعل طوله فى السماء سبعة أذرع بذاعهم، وذرعه فى الأرض ثلاثين ذراعًا بذراعهم، وأدخل الحجر فى البيتِ، ولم يجعل له سقفًا، وجعل له بابًا وحفر له بِئرًا عِندَ بابهِ يلقى فيها ما يهدى للبيت فهذه الأخبار، وإن كان مفرداتها ضعيفة، لكن يقوى بعضها بعضًا.

---

(١) ابن عساكر: هو على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله، أبو القاسم، ثقة الدين الدمشقى الشافعى، محدث الشام، حافظ، فقيه، مؤرخ سمع نحو ١٣٠٠هـ شيخ و٨٠ امرأة. له (تاريخ دمشق الكبير)، و(الأشراف)، و(كشف المغطى فى فصل الموطأ) (ت ٥٧١هـ). ترجمته: تذكرة الحفاظ: ٤/ ١١٨؛ طبقات الشافعية الكبرى: ٤/ ٢٧٤؛ الأعلام: ٥/ ٨٢؛ معجم المؤلفين: ٧/ ٦٩؛ معجم تراجم الفقهاء: ص ٣٢٩ - ٢٣٠.

(٢) محمد بن كعب بن سليم، أبو حمزة، أبو عبد الله القرضى المدنى. ترجمته: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٦٥. والحديث بنصه فى معرفة السنن والآثار للبيهقى: (١/ ٣٢)، بلفظ آخر السنن الكبرى: ٥/ ١٧٧؛ دلائل النبوة برقم (٣٧٨)، (٣٨٢٦)؛ كنز العمال: ١٢/ ٢١٣؛ أخبار مكة (٢٨٠) و(٥٤٥)، ومسند الشافعى (٤٩٤).

(٣) ابن أبى حاتم: عبد الرحمن بن محمد بن أبى حاتم بن إدريس، شيخ الإسلام، أبو محمد التميمى الحنظلى الرازى (نسبة إلى درب حنظلة بالرى). من كبار الحفاظ، له (الجرح والتعديل) و(التفسير) و(الرد على الجهمية). (ت ٣٢٧هـ). ترجمته: تذكرة الحفاظ: ٣/ ٤٤٦؛ طبقات الحنابلة: ٢/ ٥٥، الأعلام: ٤/ ٩٩؛ معجم تراجم الفقهاء: ص ٧٣.

(٤) ابن عمران: لعله هو أبو أيوب يعلى بن عمران البجلى، كما ذكره الطبرى: ٢/ ١٦٦.

(٥) أخبار مكة للأزرقى: ١/ ٥١.

وروى ابن أبى شيبة[1]، وابن راهويه[2]، وابن جرير[3]، وابن أبى حاتم، والبيهقى عن على[4]: أن بناء إبراهيم لبث ما شاء الله أن يلبث ثم

---

(١) ابن أبى شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستى العبسى ولاءً، المعروف بأبى شيبة، ولد سنة ١٥٩هـ، سمع من جلة علماء عصره، مثل شريك القاضى، وأبى الأحوص، وابن المبارك، وابن عيينة، وجرير بن عبد الله، وسمع منه أبو بكر بن أبى عاصم، وبقى من مخلد، وجعفرًا لفريابى، أبا داود، وأبا زرعة، والبغوى، والبخارى، وابن ماجة، ومسلم. له:(الأدب)، و(الأحكام)، و(الإيمان)، و(التاريخ)، و(التفسير)، و(السنن). (ت ٢٣٥هـ). ترجمته: تهذيب التهذيب: ٦/ ٣؛ الفهرست: ص ٣٢٠؛ طبقات المفسرين: ١/ ٢٥٢؛ تاريخ بغداد: ١٠/ ٦٨؛ تذكرة الحفاظ: ٢/ ٤٣٢؛ طبقات ابن سعد: ٦/ ٢٨٨؛ الوافى بالوفيات: ١٧/ ٢٤٢؛ ميزان الاعتدال: ٢/ ٧١؛ شذرات الذهب: ٢/ ٨٥؛ الأعلام: ٤/ ١١٧؛ معجم المؤلفين: ٦/ ١٠٧؛ تاريخ الأدب العربى لبروكلمان: ٣/ ٩٣.

(٢) ابن راهويه: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن عبد الله، الحنظلى المروزى، جمع الحديث والفقه والورع،ولد سنة ١٦١هـ، وسمع من سفيان بن عيينة وطبقته، وسمع منه البخارى ومسلم والترمذى له (منام الإمام الشافعى). (ت ٢٣٠هـ). ترجمته: وفيات الأعيان: ١/ ١٩٩ - ٢٠١؛ تهذيب تاريخ دمشق: ٢/ ٩؛ العبر: ١/ ٤٢٦ (ط المنجد)؛ طبقات الشافعية الكبرى: ١/ ٢٣٢؛ تاريخ بغداد: ٦/ ٣٤٥؛ شذرات الذهب: ٢/ ٨٩.

(٣) ابن جرير: هو المؤرخ الشهير محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر، له (التاريخ) و(التفسير) عالم شهير ومؤرخ بارز غنى عن التعريف (٣١٠هـ). ترجمته: شذرات الذهب: ٢/ ٢٦١، سير أعلام النبلاء: ١٤/ ٢٦٧؛ وفيات الأعيان: ٤/ ١٩١؛ معجم الأدباء: ١٨/ ٤٠؛ تاريخ بغداد: ٢/ ١٦٢؛ تذكرة الحفاظ: ٧١٠؛ ميزان الاعتدال: ٣/ ١٨؛ طبقات السبكى: ٢/ ١٣٥؛ لسان الميزان: ٥/ ١٠٠؛ غاية النهاية: ٢/ ١٠٦.

(٤) على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشى؛ رابع الخلفاء الراشدين، أبو الحسن (ت ٤٠هـ)، غنى عن التعريف له (نهج ابلاغة). ينظر: أسد الغابة: ٤/ ٩١؛ الإصابة: ١٢/ ٥٠١؛ تاريخ بغداد: ١/ ١٣٣؛ تاريخ الخلفاء: ص ١٦٦؛ تذكرة الحفاظ:=

انهدم فبنته العمالقة[1]، ثم انهدم فبنته جُرهم[2]، ثم بناه قصى بن كلاب[3]، نقله الزبير بن بكار[4]، وجزم به الماوردى[5]، ثم قريش، فجعلوا

=١/ ١٠؛ خلاصة تذهيب الكمال: ص ٢٣٢؛ طبقات الحفاظ: ٢ - ٣؛ طبقات القراء: ١/ ٥٤٦ (لابن الجزرى)؛ طبقات الفقهاء: ص ٤١؛ مختصر تاريخ الخلفاء: ص ١٤؛ الأعلام: ٥/ ١٠٨؛ نعجم تراجم أعلام الفقهاء: ص ٢٣٨.

(١) نسبة إلى أحد شعوب العرب البائدة (عملاق). قال ابن إسحاق: عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وثمود وجديس ابنا عابر بن إرم بن سام بن نوح، وطسم وعملاق، وأهيم بن لاوذ بن سام كلهم عرب. ينظر: السيرة النبوية: ١/ ١١؛ الطبرى: ١/ ٢٠٤.

(٢) جرهم: أحد بطون العرب البائدة، وهم أخوال إسماعيل بن إبراهيم الخليل. ينظر حولهم البداية والنهاية: ٢/ ٢٥١. وهو جرهم بن قحطان، أو ابن يقطن وقيل يقطن هو قحطن.. ينظر سيرة ابن هشام: ١/ ٩.

(٣) وهو: زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة (عامر) بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. السيرة النبوية لابن إسحاق: ١/ ٦ - ٧؛ جمهرة أنساب العرب: ص ١٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٤٤٨.

(٤) الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير الأسدى، المدنى، قاضى المدينة، ثقة من العاشرة، مؤرخ، له (الأخبار الموفقيات)، و(جمهرة نسب قريش)، (ت ٢٥٦هـ×. ترجمته: وفيات الأعيان: ٢/ ٣١١؛ تقريب التهذيب: ص ١٦٤؛ تاريخ بغداد: ٨/ ٤٦٧.

(٥) الماوردى: على بن محمد بن حبيب (سمى الماوردى نسبة إلى بيع ماء الورد) ولد بالبصرة، وانتقل إلى بغداد، إمام فى المذهب الاشفعى، حافظ، لقب أقضى القضاة فى عهد القائم العباسى، له (الحاوى) فى الفقه، و(الأحكام السلطانية) و(زأد الدنيا والدين)، و(قانون الوزارة). (ت ٤٥٠هـ). ترجمته: طبقات الشافعية الكبرى: ٣/ ٣٠٣؛ المنتظم: ٨/ ١٩٩؛ ميزان الاعتدال: ٣/ ١٥٥؛ طبقات المفسرين: ص ٢٥؛ شذرات الذهب: ٣/ ٢٨٥؛ وفيات الأعيان: ٣/ ٢٨٢؛ الأعلام: ٥/ ١٤٦؛ معجم تراجم أعلام الفقهاء: ص ٢٩٨.

ارتفاعها ثمانية عشر ذراعًا. وفى رواية عشرين. ولعل رأوا بها جبر الكسر[1]، وتقصوا من طولها، ومن عرضها أذرعًا أدْخَلوها فى الحجر لضيقِ النفقة بهم لما حوصر ابن الزبير من جهة يزيد بن معاوية[2] تضعضعت بالرمى بالمنجنيق[3]، فهدمها فى خلافته وبناها على قواعد إبراهيم فأعاد طولها على ما هو عليه الآن، وأدخل فى الحجر تلك الأذرع وجعل لها بابًا آخر فلما قُتل ابن الزبير[4] شاور الحجاج عبد الملك بن مروان فى نقض بناء ابن الزبير، فكتب إليه: أما ما زاد فى طولها فأقرّه، وأما ما زاد فى الحجر فرده إلى بنائه وسد الباب الذى فتحه؛ ففعل كما فى مسلم عن عطاء.

وذكر الفاكهانى[5]: أن عبد الملك ندم على إذنه للحجاج فى هدمها، ولغى الحجاج، وبقى بناء الحجاج إلى الآن، ونقل ابن عبد البرّ، وتبعه عياض

---

(١) فتح البارى: ٥/ ١١٤. قاله عن الأزرقى.

(٢) يزيد بن معاوية بن أبى الأموى القرشى، ثانى خليفة أموى تولى سنة ٦٠هـ وتوفى سنة ٦٤هـ. ترجمته: الطبقات الكبرى لابن سعد: ٦/ ٢٠٥؛ نسب قريش: ص ١٢٧؛ سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٥؛ النجوم الزاهرة: ١/ ١٦٢؛ جمهرة أنساب العرب: ص ١٠٣؛ البدء والتاريخ: ٦/ ٦ - ١٦؛ مختصر تاريخ الخلفاء: ص ٢٠؛ والخبر فى الطبرى: ٥/ ٤٩٨ - ٤٩٩.

(٣) آلة تلقى بها حجارة تسمى (الجُنُق)، وقيل أن أصحاب تدبيره هم الجُنُق. ينظر: الآلة والأداة: ص ٧٢.

(٤) فتح البارى: ٥/ ١١٣؛ صحيح مسلم الحديث رقم (١٣٣٣).

(٥) الفاكهانى: عمر بن أبى اليمن على بن بسام بن صدقة اللخمى، تاج الدين، أبو حفص، من فقهاء المالكية، له (التحرير والتحبير)، و(شرح العمدة)، و(المنهج المبين فى شرح الأربعين)، (ت ٧٣٤هـ) ترجمته: الديباج: ص ١٨٦؛ شذرات الذهب: ٦/ ٩٦؛ معجم المؤلفين: ٧/ ٩٩؛ معجم تراجم أعلام الفقهاء: ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

وغيره[1]، إن الرشيد[2] وأباه المهدى[3] أوجده المنصور[4] أراد أن يعيدا الكعبة على ما فعله ابن الزبير، فناشده مالك. وقال[5]: أخشى أن تصيح الكعبة ملعبة للملوك فتركه. وهذا بعينه خشية جدهم الأعلى عبد الله بن

(١) أبى ومن تبعه من لفقهاء، ولعله يريد بهم فقهاء المالكية. وقد ذكره الفاسى المالكى فى كتاب شفاء الغرام: ١/ ١٠٠.

(٢) الرشيد: أبو جعفر هارون بن المهدى، خليفة عباسى، تولى ٢٣ سنة وشهرين و١٦ يومًا، وتولى أولاده الخلافة من بعده: الأمين والمأمون والمعتصم. ولد سنة ١٤٩هـ و(ت ١٩٣هـ). ترجمته: البدء والتاريخ: ٦/ ١١؛ تاريخ بغداد: ١٤/ ٥؛ النبراس لابن دحية: ص ٣٦؛ مختصر تاريخ الخلفاء: ص ٥٦؛ الوزراء والكتاب: ص ١٧٧؛ الفخرى فى الأحكام السلطانية: ص ١٩٣؛ تاريخ خليفة بن خياط: ٢/ ٧٤٠.

(٣) المهدى: أبو عبد الله محمد المهدى بن أبى جعفر المنصور، تولى بعد أبيه المنصور سنة ١٥٨هـ وحكم عشر سنين ونحو نصف شهر، خليفة عباسى معروف، مات مسمومًا (ت ١٦٨هـ). ترجمته: فوات الوفيات: ٢/ ٢٢٥؛ دول الإسلام: ١/ ٨٦؛ البدء والتاريخ: ٦/ ٩٥؛ تاريخ بغداد: ٥/ ٣٩١؛ الوافى بالوفيات: ٣/ ٣٠٠؛ مختصر تاريخ الخلفاء: ص ٥٥؛ الفخرى: ص ١٧٩؛ الوزراء والكتاب: ص ١٤١.

(٤) المنصور: أبو جعفر، عبد الله بن محمد العباس، ثانى خليفة فى دولة بنى العباس، ولد سنة ٩٥هـ، وولى سنة ١٣٦هـ، أسس بغداد سنة ١٤٥، فقيه محدث (ت ١٥٨هـ) وتولى بعد محمد الهادى. ترجمته: البدء والتاريخ: ٦/ ٩٠؛ تاريخ الخميس: ٢/ ٣٢٤؛ مختصر تاريخ الخلفاء: ص ٥٣؛ الفخرى فى الآداب السلطانية: ص ١٥٩؛ الوزراء والكتاب: ص ٩٦.

(٥) مضمون الخبر لدى الفاسى فى شفاء الغرام: ١/ ١٠٠ وفيه: «ويروى أن الخليفة الرشيد، وقيل جده المنصور أراد أن يغير ما صنعه الحجاج فى الكعبة وأن يردها إلى ما صنع ابن الزبير ونهاه عن ذلك الإمام مالك بن أنس رحمه الله، وقال: نشدتك الله لا تجعل بيت الله ملعبة للملوك لا يشأ أحد منهم أن يغيره إلا غيرّه فتذهب هيبته من قلوب الناس. انتهى بالمعنى».

عباس؛ فـإنّه أشار على ابن الزبير، ولما أراد هدمها وتجـديد بنائها بأن يوم ما وهى منهـا، ولم يعـرض لهـا بزيادة، ولا نقص، وقـال: لا آمَنْ مَن يجيء بعدك، فيغيّر الذى صنعت أخرجه الفاكهانى.

المسألة الثانية[1]:

ولم يتفق لها حد من الخلفاء، ولا غيـرهم تغيير شيء بما صنعه الحجاج إلى الآن، إلا فى الميزاب والباب وعتبته. وكذا وقع ترميم الجدار، والشَّقف، وسُلّم السَّطح غير مرة، وجدد فيها الرخام.

قال ابن جُـرَيج[2]: أوّل من فرشـها بالرخـام الوليد[3] بن عبـد الملك فتحـصل من الآثار المذكـورة أنها بُنيـت عشـر مـرات، وذكر بعضـهم أن عبـد المطـلب[4] بناها بعـد قصـى، وقـيل بناء قـريش، قال الفـاسى[5]:

---

(١) الخبر فى فح البارى: ٥/ ١١٧.

(٢) ابن جريج: عبد الملك بن عبـد العزيز بن جريج، أبو الوليد، رومى الأصل، من حوالى قريش، لقبه فقيه الحرم المكى، أخذ عنه عطاء ومجاهد، ثقة فى الحديث، أول من صنف الكتب بمكة، (ت ١٥٠هـ). ترجـمتـه: تذكـرة الحـفـاظ: ١/ ١٦٠؛ تاريخ بغـداد: ١٠/ ٤٠٠؛ الأعلام: ٤/ ٣٠٥؛ معجم تراجم أعلام الفقهاء: ص ٦٧.

(٣) ابن مروان بن الحكم، ولى سنة ٨٦هـ حتى وفاته سنة ٩٦هـ. أسس الجامع الأموى وفتح الأندلس وكثيـر من الأمصار، ترجمتـه: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٤٧؛ فـوات الوفيات: ٤٠/ ٢٥٤؛ تاريخ دمشق: ٦٦/ ٢٢١؛ مختصر تاريخ الخلفاء: ص ٣٣.

(٤) عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله، عليه الصلاة والسـلام، كفله بعد وفاة أبيه، اسمه شيبة بن هاشم (واسـم هاشم عمرو) بن بعد مناف (اسمه المغـيرة) بن قصى بن كلاب. ترجمته: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٥؛ جمهرة أنساب العرب: ص ١٤ - ١٥.

(٥) تقى الدين: محمد بن أحمد بن على بن محمد بن عبد الرحمن، المكى الحسنى المالكى، أبو الطيب، يرجع نسـبة إلى الحـسن المثنى بن الحسـن بن على بن أبى طالب. ولد سنة ٥٧٧ وتفقه على كثيرين، له (العقد الثمين) و(شـفاء الغرام) وللأخير عدة مختصرات،=

ولم[1] أر ذلك لغيره، وأخشى أن يكون ذلك وهمًا. قال: واستمر بناء الحجاج إلى يومنا هذا، وسيبقى إلى أن تحر بها الحبشة[2]، وتنقلها حجرًا حجرًا، كما فى الحديث، وقد قالت العلمان: إن هذا البناء لا يغير، انتهى.

***

=أول قاضٍ للمالكية بمكة وليها سنة ٨٠٧هـ من الناصر برقوق، توفى سنة ٨٣٢هـ. ترجمته: أنباء الغمر: ٨/ ١٨٧؛ لحظ الألحاظ: ص ٢٩٣؛ الضوء اللامع: ١١/ ٢١٨؛ ذيل طبقات الحفاظ للسيوطى: ص ٣٧٧؛ كشف الظنون: ٢/ ١٠٥٢؛ شذرات الذهب: ٧/ ١٩٩؛ الدر الطالع: ٢/ ١١٤؛ فهرس الفهارس للكتانى: ١/ ٢٦٩؛ الزعلام: ٦/ ٢٧٧؛ معجم المؤلفين: ١/ ٢٤٨.

(١) شفاء الغرام: ١/ ١٠٠.

(٢) إشارة إلى عودة الاجتياح لمكة كما حصل فى عام الفيل.

obeikandl.com

الفصل الثانى

obeikandl.com

وقال الحافظ: مما يتعجب منه أنه لم يتفق الاحتياج[1] فى الكعبة إلاّ فيما صنعه الحجاج. أما من الجدار الذى بناه فى الجهة الشامية، وأما فى السُّلم الذى جدده للسطح وللقبة وما عدا ذلك، فإنما هو لزيادة محضة كالرخام أو التحسين كالباب والميزاب، وكذا ما رواه الفاكهانى برجال ثقة الحسين بن بكر بن حبيب السَّهمى[2]، عن أبيه، وهو من كبار التابعين.

قال[3]: جاورت بمكة قعاتب (بعين مهملة وموحدة) أسطوانة[4] من أساطين البيت فأخرجت وجيء بأخرى ليدخلوها مكانها، فطالت عن الموضع، وأدركهم الليل والكعبة لا تفتح ليلاً، فتركوها ليعودوا من غدٍ فيصلحوا فجاؤوا من غدٍ فأصابوها أقم من قِدح (بكسر القاف) أى سَهم.

المسألة الأولى:

المحققين وبدر بدور المفسرين الفخر الرازى[5] فى تفسير قوله تعالى:

---

(١) لعله يريد الاحتجاج.

(٢) فى الأصل (الحسن بن بكر بن حبيب السهمى)، كذا فى التقريب: الباهلى، أبو رهب البصرى، نزيل بغداد، ثقة من الناسكة (ت ٢٠٨هـ) تقريب التهذيب: ص ٢٤٨، ١١٣.

(٣) فتح البارى: ٥/ ١١٨ (عن الفاكهى: عن الحسن بن مكرم عن عبد الله بن بكر السهمى).

(٤) ويقال الأصطوانة: وهى الدعامة، فارسية معربة من أستون، وتجمع على أصاطين وأصاطنة: ينظر: الآلة والأداة: ص ١٨.

(٥) محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن، الرازى، فخر الدين أبو عبد الله، المعروف بابن الخطيب، من نسل أبى بكر الصديق، فقيه وأصولى شافعى، مفسر وأديب، ولد بالرى ورحل إلى خوارزم، له (معالم الأصول)، و(المحصول) فى أصول الفقه (ت ٦٠٦هـ). ترجمته: طبقات الشافعية الكبرى: ٥/ ٣٣؛ الفتح المبين فى طبقات الأصوليين: ٢/ ٤٧؛ الأعلام: ٧/ ٢٠٣.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾[1].

المسألة الثانية:

الأكثر من أهل الأخبار: على أن هذا البيت كان موجودًا قبل إبراهيم[2]، عليه السلام، على ما ورد من الأحاديث فيه؛ واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾[1]. فإن هذا صريح فى أن تلك القواعد كانت موجودة منهدمة إلاّ أن إبراهيم، عليه السلام، رفعها وعمرها.

المسألة الثالثة[3]:

اختلفوا فى أنه كان إسماعيل، عليه السلام، شريكًا لإبراهيم، عليه السلام، فى رفع قواعد البيت وبنائه، فالأكثرون أنه كان شريكًا له فى ذلك. والتقدير، وإذا يرفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت. والدليل عليه، أنه تعالى عطف إسماعيل على إبراهيم، فلا بُدّ وأن يكون ذلك العطف فى فعل من الأفعال التى سلف ذكرها، ولم يتقدم إلا ذكر رفع قواعد البيت فوجبَ أن يكون إسماعيل معطوفًا على إبراهيم فى ذلك، ثم اشتركا فى ذلك يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يشتركا فى البناء، ورفع الجدران.

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٢٧.

(٢) يريد به بناء الملائكة للكعبة قبل خلق آدم وبناء آدم. ينظر الأزرقى: ١/ ٣٢ - ٣٦.

(٣) لم يرد ذكر ما هى المسألة الأولى، وما هى الثانية؟، ولذا أقتضى أن يضع المحقق حسب اجتهاده بداية المسألة الأولى ثم الثانية، كما أنه لم يضع فصول الكتاب لهذا الباب (الثالث).

والثانى: أن يكون أحدهما بانيًا للبيت، والآخر يرفع إليه الحجر والطين، ويهيئ له الآلات والأدوات، وعلى الوجهين تصح إضافة الرفع إليهما، وإن كان الوجه الأول أدخل فى الحقيقة.

ومن الناس من قال[1]: إن إسماعيل فى ذلك الوقت كان طفلاً صغيرًا، وروى معناه عن على، رضى الله تعالى عنه[2]: وأنّه لما بنى البيت خرج وخلفَ إسماعيل وهاجر. فقالت: إلى من تكلِّنا؟! فقال إبراهيم: إلى الله، تعالى. فعطَسَ إسماعيل، فَلم يَر شيئًا من الماء فناداهما جبريل، عليه السلام، وفحص الأرض بإصبعه؛ فنبعت زمزم[3]، وهؤلاء جعلوا الوقف على قوله: من البيت، ثم ابتدأوا: ﴿وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾[4] طاعتنا ببناء هذا البيت؛ فعلى هذا التقدير يكون إسماعيل شريكًا فى الدّعاء، لا فى البناء. وهذا التأويل ضعيف؛ لأن قوله: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾[4] ليس فيه دليل على أنّه - تعالى - ماذا يقبل؟! فوجب صَرفه إلى المذكور السابق، وهو رفع البيت، فإذا لم يكن من فِعله كيف يدعو الله بأنَّ يتقَبّله منه، فإذا هذا القول على خلاف ظاهر القرآن، فوجب رده، والله تعالى أعلم.

---

(١) فى تاريخ الأزرقى: ١/ ٥٤ (وخرج معه ابنه إسماعيل وأمه هاجر، وإسماعيل طفل يرضع وحملوا فيما يحدثنى على البراق).

(٢) أخبار الأزرقى: ١/ ٥٤ - ٥٥.

(٣) زمزم: أول بئر بمكة محلها تجاه الحجر الأسود تقابل باب الطواف. ينظر: أخبار مكة، الأزرقى: ١/ ٩٢، ٢/ ٤٢، ٤٩ - ٦١؛ أخبار كة للفاكهى: ٢/ ٧٤؛ ٣/ ٢٢٦؛ معجم ما استعجم: ٢/ ٧٠٠ - ٧٠١.

(٤) سورة البقر، الآية: ١٢٧.

ونَصَّـهُ فى تفـسـيـــر قـوله تعـالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾[1]. يحتمل أن يـكون المراد كونَهُ أولاً فى الوضع والبناء، وأن يكون المراد كونه:

أولا: فى الوضع والبناء، وأن يكون المراد كـونه: ﴿مُـبَـارَكًـا وَهُدًى﴾[1] فحصل للمفسرين فى تفسير هذه الآية قولان:

الأول: إنه أول فى الـبناء والوضع والـذاهبـــون إلى هذا المذهـب لهم أقوال:

أحدها: ما روى الواحدى[2]، رحمه الله تعالى، فى (البسيط) بإسناده، عن مجاهد[3]: أنه قال: خَلَقَ الله - تعالى - هذا البيت قـبل أن يخلق شيئًا من الأرضين.

وفى رواية أخرى: خلق الله مـوضع هذا البيت قبل أن يخلق شيـئًا من الأرض بألفى سنة، وإن قواعده لفى الأرض السابعة السفلى.

---

(١) آل عمران، الآية ٩٦.

(٢) الواحدى: هو على بن أحـمد بن محمـد الواحدى النيسـابورى، أبو الحسن. أصله من ساوة (قرب عرض السماوة). فقيه شافـعى، واحد عصره فى التفسير. توفى فى نيسابور سنة ٤٦٨هـ. له (البسيط)، و(الوسيط)، و(الوجيز) و(أسباب النزول). ترجمته: طبقات الشافعية الكبرى: ٣/ ٢٨٩؛ النجـوم الزاهرة: ٥/ ١٠٤؛ معجم المؤلفين: ٧/ ٢٦؛ معجم تراجم أعلام الفقهاء: ص ٣٤٨.

(٣) مجاهد بن جبـر، أبو الحجاج، مولى قيس بن السائب المخزومى، شـيخ المفسرين، أخذ عن ابن عباس، ثقة، فقيه ورع مجاهد متقن. اتهم بالتدليس فى الرواية عن على وغيره، أجمعت الأمـة على إمامته. لـه (تفسير مجـاهد) طبع أخيرًا. (ت ١٠٤هـ). ترجـمته: الأعلام: ٦/ ٢٦١؛ معجم تراجم أعلام الفقهاء: ص ٢٩٩.

وروى أيضًا: عن محمد بن على بن الحسين[1] بن على بن أبى طالب، رضى الله تعالى عليهم أجمعين، عن أبيه عن النبى، ﷺ، قال[2]: إن الله تعالى، بعث ملائكة. فقال: ابنوا لى فى الأرض بيتًا على أمثال البيت المعمور، وأمر الله، تعالى، من فى الأرض أن يطوفوا كما يطوف أهل السماء بلبيت المعمور. وهذا كان قبل خلق آدم.

وأيضًا ورد فى سائر كتب «التفسير»[3] عن عبد الله بن عُمر، ومجاهد، والسُّدِّى[4]: إنه أول بيت وضع على وجه الماسء عند خلقِ الأرض والسماء، وقد خلقه الله، تعالى، قبلَ الأرضِ بألفى عام. وكان زِبدةً بيضاء على الماء، ثم دُحيت الأرض تحته.

---

(١) هو محمد الباقر، محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، أبو جعفر الصادق مؤسس المذهب الجعفرى، سمى بالباقر لأنه بقر العلم، أى شقه. روى عن أبيه وجديه الحسن والحسين وجابر وابن عمر وغيرهم. روى عنه عطاء وابن جريج وابنه جعفر والأوزاعى وأبو حنيفة والزهرى وغيرهم. وثقة الزهرى وغيره، وذكر النسائى من فقهاء التابعين وأهل المدينة. (ت ١١٤هـ) ترجمته: طبقات الحفاظ: ص ٤٩؛ العبر: ١/ ١٤٢؛ شذرات الذهب: ١/ ١٤٩؛ حلية الأولياء: ٣/ ١٨٠؛ معجم تراجم أعلام الفقهاء: ص ٣٠٧.

(٢) ينظر: أخبار مكة للأزرقى: ١/ ٣٢.

(٣) ذكر ذلك الأزرقى فى أخبار مكة: ١/ ٣٢ عن رواية مجاهد.

(٤) السُّدِّى: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبى كريمة، أبو محمد، نسب إلى سدة مسجد الكوفة التى كان يبيع فيها المقانع، تابعى صدوق، اتهم ورمى بالتشيع، كان عارفًا بالوقائع وأيام الناس. روى عن أنس وابن عباس، ورأى ابن عمر، وروى عنه شعبة والثورى والحسن بن صالح وآخرين. له (تفسير القرآن)، (ت ١٢٧هـ). ترجمته: النجوم الزاهرة: ١/ ٣٠٨؛ هدية العارفين: ١/ ٢٠٦؛ معجم تراجم أعيان الفقهاء: ص ١٤٤ - ١٤٥.

قال القفال[١] فى (تفسيره): روى حبيب بن ثابت[٢] عن ابن عباس، أنه قال[٣]: وُجد كتابٌ فى المقامِ أو تحت المقامِ: إنَّ الله ذو بكةٍ[٤] وضعتها يوم وضعت الشمس والقمر، وحرمتها يوم وضعت هذا ابن آدم الحجرين وحَفَفتها بسبعة أملاك حنفاء.

وثانيها[٥]: أن آدم، صلوات الله عليه، لما أُهبِط إلى الأرضِ شكا الوحشة، فأمرَهُ الله - تعالى - ببناءِ الكعبة، وطافَ بها، وبقى ذلك إلى زمان نوحٍ، عليه السلام، فلما أرسل الله الطوفان رفع البيت إلى السماء السابعة،

---

(١) القفال: محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر، أبو بكر، فخر الإسلام القفال، الفارقى، المعروف بالمستظهرى، ولد بميارذارقين (بديار بكر)، فقيه اشفعيو حافظ لموارد المذهب، تفقه على أبى منصور الطوسى، ثم قدم بغداد ولازم أبا إسحاق الشيرازى. انتهت إليه رياسة الشافعية فى عصره، تولى التدريس فى المدرسة النظامية له (حلية العلماء) و(المعتمد) و(الترغيب والترهيب)، (ت ٥٠٧هـ). ترجمته: طبقات الشافعية الكبرى: ٤/ ٥٧؛ وفيات الأعيان: ١/ ٥٨٨؛ شذرات الذهب: ٤/ ١٦؛ كشف الظنون: ١/ ٦٩٠؛ الأعلام: ٦/ ٢١٠؛ معجم تراجم أعلام الفقهاء: ص ٢٧٧؛ والشاشى عند ابن هداية هو أبو بكر محمد بن على بن إسماعيل القفال الكبير الشاشى (ت ٣٦٥ - ٣٦٦هـ). طبقات ابن هداية: ص ٨٨ - ٨٩.

(٢) حبيب بن ثابت: للعه يريد به حبيب بن أبى ثابت، قيس. ويقال: هند بن دينار الأسدى، مولاهم، أبو يحيى الكوفى، ثقة فقيه جليل، كثير الإرسال والتدليس، من الثالثة. (ت ١١٩هـ). تقيب التهذيب: ص ١٠٤.

(٣) ينظر: أخبار الأزرقى: ١/ ٣٢ - ٣٣، ٤٦ - ٤٧.

(٤) بكّة: هى مكة بيت الله الحرام، أبدلت الميم باء، وقيل: بكَّة، بطن مكة، وقيل: موضع المسجد ومكة وما وراءه. وقيل: سميت مكة لأنها بين جبلين، وغير ذلك. معجم البلدان: ١/ ٤٧٥.

(٥) أخبار مكة للأزرقى: ١/ ٣٦، ٤٦ - ٤٧؛ الأعلاق النفيسة: ص ٢٤ - ٢٥ (ط ليدن).

وبقيت جبال الكعبة يتعبّد عنده الملائكة كل يوم سبعون ألف ملك سوى من دخل من قبل فيه.

ثم بعد الطوفان اندرس موضع الكعبة[1]، وبقيت مختفية إلى أن بعث الله - تعالى - جبريل، عليه السلام، إلى إبراهيم ودلَّهُ على مكانِ البيت، وأمرَهُ بعمارته؛ فكان المهندس جبريل، والبنّاء إبراهيم، والمعين إسماعيل، عليهم السلام.

واعلم أن هذين القولين يشتركان فى أن الكعبة كانت موجودة فى زمان آدم، عليه السلام، وهذا هو الأصوب ويدلُّ عليه وجوه:

الأول: أنَّ تكليف الصلاة كان لازمًا فى دين جميع الأنبياء، عليهم السلام، بدليل قوله فى سورة مريم: ﴿**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾**﴾[2] فخلف من بعدهم أضاعوا الصلاة فدلّت الآية: على أن جميع الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، كانوا يسجدون لله، والسجدة لابدّ لها من قِبلة؛ فلو كات قبلة شيت، وإدريس، ونوح، عليهم الصلاة والسلام، موضعًا آخر، سوى القبلة، لبطل قوله: ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا**﴾[3]. فوجب أن يقال: إن قبلة أولئك الأنبياء المتقدمين هى الكعبة، فدلّ هذا على أنَّ هذه الجهة كانت أبدًا مشرّفة مكرّمةً.

---

(١) أخبار مكة، الأزرقى: ١/ ٥٢.

(٢) سورة مريم، الآية: ٥٨.

(١) آل عمران، الآية ٩٦.

الثانى: أن الله تعالى[1]، سمى مكة أم القرى[2]، وظاهر هذا يقتضى أنها كانت سابقة على سائر البقاع فى الفضل والشرف منذ كانت موجودة.

الثالث: روى أن النبى، ﷺ، قال فى خطبته يوم فتح مكة[3]: «ألا إن الله قد حرّم مكة يوم خلق السموات والأرض والشمس والقمر». وتحريم مكة لا يمكن إلا بعد وجود مكة.

الرابع: أن الآثار التى حكيناها عن الصحابة والتابعين دالةٌ على أنها كانت موجودة قبل زمان إبراهيم، عليه السلام، واعلم أن لمن أنكر ذلك أن يحتج بوجوه:

الأول: ما روى عن النبى، ﷺ، قال[4]: «اللهم إنّى حرّمت المدينة كما حرّم إبراهيم مكة». وظاهر هذا يقتضى أن مكة بناء إبراهيم، عليه السلام، ولقائ أن يقول: لا يبعد أنْ يقال: البيت كان موجودًا قبل إبراهيم وما كان محرّمًا، ثم حرّمه إبراهيم، عليه السلام.

الثانى: تمسكوا بقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ**﴾[5]. ولقائل أن يقول: لعل البيت كان موجودًا قبل ذلك،

---

(١) أخبار مكة للأزرقى: ١/ ٣٢.

(٢) أم القرى: عن ابن عباس: أنه قال لما كان العرش على الماء قبل أن يخلق الله السموات والأرض بعث الله تعالى ريحًا هفافة فصفقت الماء فأبرزت عن خشفة فى موضع هذا البيت كأنّها فيه فدحا الله الأرضين، من تحتها فمادت ثم مادت فأوتدها الله تعالى بالجبال فكان أول جبل وضع فيها أبو قبيس، فلذلك سميت مكة أم القرى. أخبار مكة للأزرقى: ١/ ٣٢.

(٣) صحيح مسلم برقم (١٣٥٣) الأحاديث: ٤٤٥ - ٤٤٨؛ البداية: ٥/ ٣٣٨ وما بعد.

(٤) صحيح مسلم (١٣٥٣) الأحاديث: ٤٤٥ - ٤٤٨؛ شفاء الغرام: ١/ ٦٧.

(٥) سورة البقرة، الآية ١٢٧.

ثم انهدم، ثم أمر الله إبراهيم أن يرفع قواعده؛ وهذا هو الوارد في أكثر الأخبار.

الثالث: قال القاضى: إن الذي يقال: من أنه وقع الطوفان إلى السماء بُعيد ذلك؛ لأن الموضع الشريف هو تلك الجهة المعينة، والجهة لا يمكن رفعها إلى السماء، ألا تري أن الكعبة، والعياذ بالله، تعالى؛ لو انهدمت، ونقل للأحجار والتراب إلى موضع آخر لم يكن له شرف ألبتة، ويكون شرف تلك الجهة باقيًا بعد الانهدام، ويجب على كل مسلم أن يصلى إلى تلك الجهة بعينها، وإذا كان كذلك فلا فائدة فى نقل تلك الجدران إلى السماء، ولقائل أن يقول: أما صارت تلك الأجسام فى العزة إلى حيث أمر الله بنقلها إلى السماء، وإنما حصل لها هذه العزة بسبب إنها كانت حاصلة فى تلك الجهة فصار نقلها إلى السماء من أعظم الدلائل على غاية تعظيم تلك الجهة وإعزازها؛ فهذا جملة ما فى هذا القول.

أما القول الثانى: فَهو أن المراد من هذه الأولية كون هذا البيت أولاً: فى كونه مباركًا، وهدى للخلق. وروى أن النبى، ﷺ، سئل: عن أول مسجد[1] وضع للناس. فقال عليه الصلاة والسلام[2]: «المسجد الحرام ثم بيت المقدس. فقيل: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة».

---

(١) المسجد الحرام: هو الذي بمكة، أول من بناه عمر، ولم يكن له فى زمن النبى وأبى بكر، وذلك أن الناس ضيقوا على الكعبة، وألصقوا دورهم بها. معجم البلدان: ٥/ ١٢٤. ينظر: المستدرك (٣١١٠)؛ مصنف أبى شيبة ٨١/ ٣٣٢؛ ابن أبى حاتم رقم (٣٨٧٥)؛ ودلائل النبوة: ١/ ٤٢١؛ كنز العمال: ٢/ ٣٧٨.

(٢) الحديث: صحيح البخارى (١١٨٩)؛ مسلم (١٣٩٧) و(١٠١٤)؛ سنن أبى داود (٢٠١٧)؛ سنن النسائى: ٢/ ٣٧ (ط دار الفكر، ١٩٣٠م).

وعن على، رضى الله عنه: إن رجلاً قال له: أهو أول بيت؟ قال: لا قد كان قبله بيوت، ولكنه أول بيت وضع للناس مباركًا فيه الهُدى والرحمة والبركة، أول من بناه إبراهيم، ثم بناه قوم من العرب من جرهم، ثم هدم فبناه العمالقة، وهم ملوك من أولاد عمليق بن سام بن نوح ثم هُدم فبناه قريش، انتهى بلفظه.

وعبارة الخازن[1] فى (تفسير) الآية السابقة، وقصة بناء البيت: أنّ الله تعالى، خلق موضع البيت قبل الأرض بألفى عام[2]، وكان زبدة بيضاء على وجه الماء فَدُحيت الأرض من تحتها فلما أهبط الله آدم إلى الأرض استوحش؛ فشكا إلى الله، تعالى، فأنزلَ الله، عَزَّ وجَلَّ، البيت المعمور، وهو ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زُمرد أخضر، باب شرقى، وباب غربى فوضَعَهُ على موضع البيت. وقال: يا آدم إنى أهبطت لك بيتًا تطوف به، كما يطاف عليه الحجر الأسود فتوجه آدم من الهند ماشيًا، فأرسل الله إليه، مَلكًا يدلُّه على البيت فحجَّ آدم البيتَ، فلما فرغ. قالت الملائكة: برّ حجك، يا آدم، لقد

---

(١) الخازن: لعله الحارث بن عبد الله بن إسماعيل بن عقيل، محدث همدان، وثمة شاعر يسمى ابن الخازن: أحمد بن محمد بن الفضل بن الخازن الدينورى. البغدادى (ت ٤١٨هـ). ينظر ترجمة الأول.

سير أعلام النبلاء: ١١/ ١٤٥؛ تقريب التهذيب: ص ١٠٠؛ تهذيب التهذيب: ٢/ ١٢٦؛ الثقات: ٨/ ١٨٣. وترجمة الثانى: الوافى بالوفيات: ٨/ ٧٨؛ النجوم: ٥/ ٢٢٩؛ سير: ١٩/ ٤٨٢؛ وفيات: ١/ ١٤٩؛ ت الإسلام: ٤/ ٢٣٣.

وفى المغرب إسماعيل بن إبراهيم ابن الخازن، أديب وشاعر. ترجمته: الوافى بالوفيات: ٩/ ٦٨.

(٢) ينظر: أخبار مكة للأزرقى: ١/ ٣٢، ٤٧ (بتصرف).

حججنا هذا البيت قبلك؛ بألفى عام. قال ابن عباس: حجة آدم أربعين حِجَةً من الهند ماشيًا على رجليه، وبقى هذا البيت إلى زمن الطوفان فرفعه الله إلى السماء الرابعة، وهو البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه، وبعث الله جبريل حتى خبأ الحجر الأسود فى جبل أبى قبيس[1]، صيانة له من الغرق؛ فكان موضع البيت خاليًا إلى زَمنِ إبراهيم، عليه السلام، ثم إن الله تعالى، أمر إبراهيم بعدما ولد إسماعيل وإسحاق ببناء البيت؛ فسأل الله تعالى: أن يبيّن موضعه له، فدلّه عليه، وعلى الحجر الأسود الذى كان قد خبأه جبريل، فبنيا البيت هو وإسماعيل، وبناء البيت كانَ متأخرًا عن بناء مكة، وكل منهما كان فى زمن إبراهيم، عليه السلام، قال الخازن: أما الأول، فبناه براهيم، وأما الثانى، فبناه طائفة من جرهم؛ وذلك أن إبراهيم، لما جاء بأم إسماعيل وابنها إسماعيل، وهى ترضعه، وضعها عند مكان البيت، وليس هناك يومئذ بناء، ولا أحد؛ فلما عطشت واشتد عليها الأمر جاءها الملك فبحث بعقبهِ أو بجناحهِ فى موضع زمزم حتى ظهر الماء، فصارت تشرب منه، فاستمرت كذلك، هى وولدها حتى مرت بهم طائفة من جرهم؛ فقالوا: عهدنا بهذا الوادى ما قيه ماء، فأتوا إلى أم إسماعيل، فقالوا: أتأذنين أن ننزل عندك؟! قالت: نعم، ولكن لا حقَّ لكم فى الماء. قالوا: نعم، فنزلوا عندها، وأرسلوا إلى أهلهم فبنوا هناك أبياتًا، فلما شبَّ إسماعيل وأعجبهم زوجوه امرأة منهم، وماتت أم إسماعيل، انتهى فى الخازن.

---

(١) أبو قبيس: جبل مشرف على مسجد مكة من شرقيها، كناه آدم، عليه السلام، حيث اقتبس منه النار التى فى أيدى الناس. معجم البلدان: ١/ ٨٠؛ أخبار مكة للأزرقى: ٢/ ٢٦٧؛ أخبار مكة للفاكهى: ٢/ ٤٥ - ٤٦.

ونَصَّ الإمام القسطلانى فى البخارى: وبنيت الكعبة عشر مرات[1]:

الأول[2]: بناء الملائكة، روى أن الله، تعالى، أمرهم أن يبنوا فى كل سماء بيتًا، وفى كل أرض بيتًا. قال مجاهد: هى أربعة عشر بيتًا، وروى: أن الملائكة حين أسَسَتْ الكعبة انشقت الأرض إلى منتهاها، وقذفت الملائكة فيها حجارة كأمثال الإبل؛ فتلك القواعد من البيت اتى وضع عليها إبراهيم وإسماعيل بناءها.

الثانى[3]: بناء آدم، روى: أنه قيلَ لَهُ: أنتَ أول الناس؛ وهذا أول بيت وضع للناسِ.

الثالث[4]: بناء ابنة شيت بالطين والحجارة، فلم يزل معمورًا به من بعدهم حتى كان زمن نوح فأغرقه الطوفان وغيّر مكانه.

الرابع[5]: بناء إبراهيم، وقد كان المبلغ له بنيانه جبريل عن الملك الجليل، ومن ثم قيل: ليس، ثم فى هذا العالم أشرف من الكعبة؛ لأنَّ الآمر ببنائها الملك الجليل، والمبلغ والمهندس جبريل، والبانى الخليل، والمعين إسماعيل.

الخامس[6]: بناء العمالقة.

---

(١) يذكر الفاسى بأن السُّهيلى، قال أنّها بنيت خمس مرات. شفاء الغرام: ١/ ٩٢.

(٢) شفاء الغرام: ١/ ٩١ - ٩٢.

(٣) شفاء الغرام: ١/ ٩١ - ٩٢.

(٤) شفاء الغرام: ١/ ٩٢ (وفيه بناه لأنه: كان وصى أبيه).

(٥) شفاء الغرام: ١/ ٩٢.

(٦) شفاء الغرام: ١/ ٩٣.

السادس[1]: بناء جرهم، والذى بناه منهم الحارث بن مضاض[2] الأصغر.

السابع[3]: بناء قصى الخامس جدّ للنبى ﷺ.

الثامن[4]: بناء قريش وحضره النبى ﷺ وهو ابن خمس وثلاثين سنة.

التاسع[5]: بناء عبد الله بن الزبير، وسببه، توهين الكعبة من حجارة المنجنيق التى أصابها حين حُوصر ابن الزبير بمكة أوائل سنة أربع وستين[6]، بمعاونة يزيد بن معاوية، فهدمها بعد أن استخار، واستشار، وكان يوم السبت نتصف جمادى الآخرة سنة أربع وستين، وبلغ بالهدم قامة ونصف حتى وصل قواعد إبراهيم، فوجدها كالإبل المسنّمة، وبعضها متثل ببعضٍ حتى إن من ضرب المعول طرف البناء تحرك طرفه الآخر، فبناها على قواعد إبراهيم، وأدخل فيها ما أخرجته قريش من الحِجر (بكسر الحاء)، وجعل لها بابين

---

(١) شفاء الغرام: ١/ ٩٣.

(٢) هكذا أشار إليه المسعودى فى مروج الذهب: ٢/ ٢٠. ونسبه بأنه: الحارث بن مُضاض ابن عمرو بن سعد بن الرقيب بن ظالم بن هينى بن بنت بن جرهم. ينظر: أخبار مكة للأزرقى: ١/ ٩٧؛ الفاكهى: ٤/ ١٤٣، ١٥٨؛ الأغانى: ١٥/ ١١؛ شفاء الغرام: ١/ ٩٤ وأخذه عن المسعودى بلفظه (الحارث بن مضاض الأصغر) وقال: إن الحارث هذا زاد فى بناء البيت ورفعه كما كان عليه من بناء إبراهيم؛ وهو عمرو بن الحارث بن مضاض عند الطبرى: ٢/ ٢٨٤.

(٣) شفاء الغرام: ١/ ٩٤.

(٤) شفاء الغرام: ١/ ٩٥؛ سيرة ابن هاشم: ١/ ١٦٠.

(٥) شفاء الغرام: ١/ ١٠٠ - ١٠١؛ البداية والنهاية: ٨/ ٣٠٥؛ تاريخ الطبرى: ٥/ ٦٢٢ - ٦٢٣.

(٧) البداية والنهاية: ٨/ ٣٠٥ - ٣٠٦.

لاصقتين بالأرض، أحدهما بابها الموجود الآن والآخر المقابل له المسدود، وكان ابتداء البناء فى جمادى الآخرى، وختمه فى رجب سنة خمس وستين، ثم ذبح مائة بدنة للفقراء وكساهم.

العاشر: بناء الحجاج، وكان بناؤه للجدار الذى من جهة الحِجر (بكسر الحاء). والباب الغربى المسدود عند الركن اليمانى وما تحت عتبة الباب لشرقى، وهو أربعة أذرع وشبر، وترك بقية الكعبة على بناء ابن الزبير، واستمر بناء الحجاج إلى الآن، انتهى (ملخصًا)، وهذا بحسب ما اطلع عليه، رحمه الله تعالى، وإلا فقد بناه بعد ذلك بعض الملوك سنة ألف وتسع وثلاثين، كما نقل بعض المؤرخين[1]، انتهى.

وقد نظم العشرة الأولى بعضهم فقال:

بنى بيت ربِّ العرش عشرٌ فخذهم
ملائكةُ اللهِ الكرام وآدَمُ
فشيتٌ فإبراهيم ثم عمالِقٌ
قصى قُريشٍ قبَل هذين جُرهمُ
وعبد الله بن الزبير بنى كذا
بناء الحجاج وهذا مُتَمِمُ

(١) بعد مجيء قانصوة عين الشريف مسعود بن إدريس إمارة مكة فى صفر ١٠٣٩هـ، فكانت إمارته قائمة حتى وفاته سنة ١٠٤٠هـ. ينظر: أمراء مكة فى العهد العثمانى: ص ١١٠ - ١١١.

الفصل الثالث

obeikandl.com

قال العلامة خليل، فى (مناسكه)[1]: ولَم يكُنْ للبيتِ على عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر[2] رضى الله تعالى عنه، محيط بل فضاء للطائفين. وكانت محدقة به، وبين الدور أبواب يدخل الناس من كل ناحية[3]؛ فلما ولى عمر بن الخطاب[4] رضى الله عنه، وكثر الناس[5]: وسع للمسجد، واشترى دوراً هدمها وزادها فيه، واتخذ الجدار للمسجد الحرام؛ فلما تولى عثمان[6] رضى الله عنه[7]: ابتاع منازل ووسعه بها أيضًا، وبنى المسجد والأروقة؛ فكان عثمان رضى الله عنه أول من اتخذَ الأروقة، ثم إن ابن الزبير زاد فى المسجد زيادة كثيرة واشترى دوراً من جملتها دار الأزرقى[8] بعشرة آلاف دينار، ثم عمره بعده عبد الملك بن مروان، ولم يُزِدْ فيه، لكن رفع

---

(١) إشارة إلى كتابه (المناسك).

(٢) أبو بكر: عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر، من تيم قريش، أول الخلفاء الراشدين، ولد بمكة وآمن برسول الله ﷺ وصاحبه فى هجرته. (ت ١٣هـ). ترجمته: معجم تراجم أعلام الفقهاء: ص ٤٩.

(٣) البداية: ٥/ ٣٣٨ وما بعد.

(٤) عمر: عمر بن الخطاب بن نفيل، أبو حفص، الفاروق، صاحب رسول الله، وثانى الخلفاء الراشدين، غنى عن التعريف. (ت ٢٣هـ). ترجمته: معجم تراجم أعيان الفقهاء: ص ٢٤٥.

(٥) معجم البلدان: ٥/ ١٢٤ (المسجد الحرام)؛ تاريخ الطبرى: ٤/ ٦٨ - ٦٩.

(٦) عثمان بن عفان بن أبى العاص، قرشى أموى، ثالث الخلفاء الراشدين. تزوج من ابنتى رسول الله، فسمى بذى النورين، غنى عن التعريف (ت ٣٥هـ). ترجمته: معجم تراجم أعلام الفقهاء: ص ٢٢٣.

(٧) معجم البلدان: ٥/ ١٢٤.

(٨) سبق ذكره.

جداره وسقفَهُ بالسّاج[1]، وعمّره عمارةً حسنةً، ثم إن الوليد بن عبد الملك وسع المسجد وعمل إليه أعمدة الرخام والحجارة، ثم إن المنصور[2] زاد فيه المهدى، بعد مرتين[3]:

إحداهما: بعد سنة ستين ومائة.

والثانية: بعد سنة سبع وستين مائة، وفيها توفى المهدى، واستمر الأمر على ذلك إلى وقتنا هذا.

وثبت فى الصحيحين[4]، عن أبى ذر الغفارى[5]، رضى الله عنه: أنه، عليه الصلاة والسلام، قال[6]: إنه أول مسجد وضَع فى الأرض. قلت: ثم أىّ؟ قال: المسجد الأقصى[7]! قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون عامًا. ويستحب إذا جلس فيه أن يتوجه إلى الكعبة للآثار الكثيرة فى فضل النظر إليها، انتهى.

---

(١) الساج: خشبٌ يجلب من الهند، واحدته ساجة. لسان العرب.

(٢) شفاء الغرام: ١/ ١٠٠.

(٣) حول تجديد المهدى له: نخبة بهجة الزمان: ص ١٠٨ (رسالة ماجستير مرقونة) لجار الله ابن فهد المكى، دراسة وتحقيق قيس كاظم حاج سبع الجنابى (معهد التاريخ العربى، بغداد ١٩٩٩م).

(٤) أى صحيح البخارى وصحيح مُسلم.

(٥) جندب بن جنادة بن قيس، من كبار الصحابة (ت ٣٢هـ). ترجمته: معجم تراجم أعلام الفقهاء: ص ١١٥.

(٦) أخبار مكة للأزرقى: ٢/ ٦٢ - ٦٣ (تمام الحديث ونصه).

(٧) المسجد الأقصى: اسم مدينة بيت المقدس، إيلياء (معجم البلدان: ١/ ٢٩٣)، وفيها المسجد الذى أقيم فى زمن عمر بن الخطاب بعد فتحها. ينظر: البداية: ٧/ ٦٨ - ٦٩.

وفى (الشفا) للقاضى عياض: ولما نظر رسول الله ﷺ إلى الكعبة، قال[1]: مرحبًا بك من بيت، ما أعظمك وأعظم حرمتك! قال: وفى الحديث، عنه، عليه الصلاة والسلام: ما مِن أحد يدعوا الله عند الركن الأسود إلا استجاب الله له. وكذلك عند الميزاب، وعنه، عليه الصلاة والسلام، مَن صلّى خلف المقام ركعتين غفر ل ما تقدم من ذنبه، وما تأخر، وحشر يوم القيامة مع الآمنين.

قال: رواية عن ابن عباس، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما دَعا أحد بشىء فى هذا الملتزم إلا أُسْتُجيبَ له[2]. قال ابن عباس: وإنّما فما دَعَوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من رسول الله ﷺ إلا أُستجيبَ لى[3].

وذكر الإمام[4] الكرمانى فى (شرحه على البخارى)[5]: إنَّ مَنْ صلى ركعتين فى حجر إسماعيل، ودعا الله، وهو واضع جبهته على الحجر المقابل لميزاب الرحمة فى كل سجدة خمسًا وعشرين مرة؛ فالجملة مائة إلا استجيب له، انتهى.

* * *

(١) الحديث فى الشفاء: ٢/ ٩٣.

(٢) كنز العمال: ٦/ ٢٢٠ برقم (٣٤٧٥٨).

(٣) كنز العمال: ٦/ ٢٢٠.

(٤) الكرمانى: محمد بن يوسف بن على بن سعد، شمس الدين الكرمانى، ثم البغدادى، فقيه أصولى، محدث ومفسر، له: (الكواكب الدرارى فى شرح صحيح البخارى)، و(ضمائر القرآن)، و(النقود والردود فى الأصول)، و(شرح مختصر ابن الحاجب)، (ت ٧٨٦هـ). ترجمته: الدرر الكامنة: ٤/ ٣١٠؛ الأعلام: ٨/ ٢٧؛ معجم المؤلفين: ١٢/ ١٢٩؛ معجم تراجم أعلام الفقهاء: ص ٢٨٥ - ٢٨٦.

(٥) أى كتاب (الكواكب الدرارى فى شرح البخارى).

الفصل الرابع

obeikandl.com

وبالجملة فهى أفضل البقاع وأشرفها عند الأئمة الثلاثة. وقالَ مالك: بشرفِ المسجد النبوى[1] على المسجد الحرام؛ وهذا الخلاف فى غير الموضع الذى ضم جسمه الشريف، وإلا فهو بقاع الأرض، والسماء حتى العرش باتفاق. ثم يليه فى الفض الكعبة نفسها، والخلاف فى التفاصيل فى المسجدين مع كونهما أفضل بقاع الأرض غيرهما.

وفى (الشفا) عنه)، عليه الصلاة والسلام؛ أنه قال[2]: من ماتَ فى أحد الحرمين حاجًا أو معتمرًا بعثه الله يوم القيامة لا حساب عليه، ولا عذاب.

وفى طريق أخرى[3]: (بعث يوم القيامة من الآمنين)، وعن ابن عمر: من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإنّى أشفع لمن يموت بها انتهى.

والفضل المذكور بالمسجد النبوى، ولو مَعَ الزيادة التى أحدثها سيدنا عثمان بعده، صلى الله عليه وسلم، قال العلامة خليل: وأما مسجده، عليه الصلاة والسلام، ففى (البخارى) عن ابن عمر، رضى الله عنه، قال: كان المسجد على عهد رسول الله ﷺ مبنيًا باللبنِ، وسقفه بالجريد، وعمدَهُ خَشبُ النخل فلم يَزِدْ فيه أبو بكر، رضى الله عنه، شيئًا، وزاد فيه عمر[4]، رضى

(١) ورد فى التواريخ: أن النبى ﷺ أخذ مربد كلثوم وأسسه وصلى فيه إلى بيت المقدس وخرج من عندهم يوم الجمعة، أى السنة الأولى للهجرة، فعمله مسجدًا. الدرة الثمينة، بنهاية شفاء الغرام: ٢/ ٣٥٥. ينظر (تفاصيل أكثر: الجواهر الثمينة: ورقة ٥.

(٢) الشفاء: ٢/ ٩٣.

(٣) الشفاء: ٢/ ٩٣.

(٤) الدرة الثمينة: ٢/ ٣٦٩.

الله عنه، وبناه على بنائه فى عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد وأعاد عمده خشبًا، ثم غَيّره عثمان[1]، رضى الله عنه، وجعل عمده من حجارة وزاد، فيه زيادة كثيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة، والقصة وسقَّفَهُ بالساجِ، انتهى.

والقَصة (بفتح القفا والصاد المهملة المشددة): الجُصُّ، وعن خارجة[2] ابن زيد، أحد فقهاء المدينة السبعة، قال[3] بنى رسول الله ﷺ مسجده سبعين ذراعًا، وعرضه ستين ذراعًا أو يزيد.

قال أهل (السيّر)[4]: جعل عثمان طول المسجد مائة وستين، وعرضه مائة وخمسين ذراعًا، وجعل أبوابه ستة كما كان فى زمن عمر، ثم زاد فيه الوليد بن عبد الملك؛ فجعل طوله مائتى ذراع، وعرضه فى مقدمه مائتى ذراع، وفى مؤخره مائتى ومثانين ذراعًا، ثم زاد المهدى مائة ذراع من جهة الشام فقط، دون الجهات الثلاثة.

***

(١) الدرة الثمينة: ٢/ ٣٧١.

(٢) خارجة بن زيد بن ثابت الأنصارى، أبو زيد المدنى، ثقة فقيه من الثالثة (ت ١٠٠هـ) وقيل قبلها - ترجمته: تقريب التهذيب: ص ١٣٩؛ سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٣٧.

(٣) الدرة الثمينة: ٢/ ٣٧١.

(٤) الدرة الثمينة: ٢/ ٣٧١.

obeikandl.com

الفصل الخامس

obeikandl.com

وَصَحَّ، عليه الصلاة والسلام، أنه قال[1]: صلاة فى مسجدى هذا خيرٌ من ألف صلاةٍ، فيما سواه، إلا المسجد الحرام.

قال علماؤنا: والمعنى إلا المسجد الحرام فإنّه، إنما يفضل عليه مسجدى بأقل من ألف، وغيرنا يقول: إلا المسجد الحرام؛ فإن الصلاة فيه أفضل، والخلاف هذا مبنى على الخلاف فى أىّ البلدين أفضل؟! وأجمعوا على أن البقعة ضَمّت النبى ﷺ أفضل بقاع الأرضِ، نقله صاحب (الشفا)، انتهى.

قال فى (الشفا) أيضًا: اختلف الناس فى معنى هذا الاستثناء، يعنى قوله: إلا المسجد الحرام؛ هل يفيد الزيادة والنقصان أو الاستواء على اختلاف فى المفاضلة بين مكة والمدينة[2]. فذهب مالك فى رواية أشهب[3] عنه. وقال ابن نافع[4]، صاحبه وجماعة أصحابه إلى معنى الحديث: إن الصلاة فى مسجد رسول الله ﷺ أفضل من الصّلاة فى سائر المساجد بألف صلاة إلا المسجد الحرام؛ فإن الصلاة فى مسجد الرسول، عليه السلام، أفضل من

---

(١) صحيح مسلم رقم (١٣٩٤)، والبخارى رقم (١١٩٠).

(٢) حول المدينة المنورة ينظر: الدرة الثمينة: ٢/ ٣٢٣ - ٣٢٤.

(٣) أشهب: هو أشهب بن عبد العزيز بن داود القيسى العامرى الجعدى، فقيه مصرى، صاحب الإمام مالك (ت ٢٠٤هـ) ترجمته: معجم تراجم أعلام الفقهاء: ص ٢٤ - ٢٥؛ وفيات الأعيان: ١/ ٢١٥، طبقات الفقهاء للشيرازى: ص ١٢٨؛ الوافى بالوفيات: ١٩/ ٢٧٨.

(٤) ابن نافع: عبد الله بن نافع مولى ابن أبى نافع، من كبار أصحاب مالك، صحبه أربعين سنة، له (تفسير الموطأ)، (ت ١٨٦هـ) ترجمته: الديباج: ص ١٣١؛ شجرة النور الزكية: ص ٥٥؛ معجم المؤلفين: ٦/ ١٥٨.

الصلاة فيه بدون الألف، واحتجوا بما روى عن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، صلاة فى المسجد الحرام خير من مائة صلاة. فيما سِواه، فتأتى فضيلة مسجد رسول الله ﷺ عليه بتسعمائة وعلى غيره بألف، وهذا مبنى على تفضيل الدينة على مكة على ما قدمناه، وهو قول عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، ومالك وأكثر المدنيين؛ وذهب أهل مكة والكوفة[١] إلى تَفْضيل مكة، وهو قول عطاء وابن وهب[٢]، وابن حبيب[٣] من أصحاب مالك، وحكاه عن الشافعى، رضى الله عنه، وحملوا الاستثناء فى الحديث المتقدم على ظاهره، و الصلاة فى المسجد الحرام أفضل واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير عن النبى ﷺ بمثل حديث أبى هُريرة[٤]، وفيه[٥]: وصلاة المسجد الحرام أفضل من الصلاة فى مسجدى هذا بمائة صلاة.

---

(١) الكوفة: حاضرة العراق، بناها والى العراق فى عهد عمر بن الخطاب، أصبحت مركز الخلافة الإسلامية فى على بن أبى طالب، قامت على أنقاض الحيرة. معجم البلدان: ٤/ ٤٩٠.

(٢) ابن وهب: هو عبد الله بن وهب بن مسلم، أبو محمد الفهرى بالولاء، المصرى من تلاميذ الإمام مالك (ت ١٩٧هـ). ترجمته: وفيات الأعيان: ١/ ٢٤٩؛ الأعلام: ٤/ ٢٨٩؛ معجم تراجم أعلام الفقهاء: ص ٣٥١ - ٣٥٢.

(٣) ابن حبيب: هو عبد الملك بن حبيب بن سليمان، السُّلمى، من ولد العباس بن مرداس، حافظ، له (حروب الإسلام)، (طبقات الفقهاء)، و(التابعين) و(الواضحة) فى السنن وغيرها (ت ٢٣٨هـ). الديباج: ص ١٥٤؛ ميزان الاعتدال: ٣/ ١٤٨؛ نفح الطيب: ١/ ١٣٣.

(٤) أبو هريرة، عبد الرحمن بن صخر، صحابى معروف من قبيلة دوس، أسلم سنة ٧هـ وهاجر إلى المدينة (ت ٥٩هـ). ترجمته: الكنى والأسماء: ٢/ ٨٨٩؛ طبقات ابن سعد: جـ١/ ٣٦٣، جـ/ ٤ ٣٢٥؛ معجم تراجم طبقات الفقهاء: ص ٣٤٢.

(٥) الحديث فى البخارى برقم (١١٩٠)؛ مسلم (١٣٩٤)؛ سنن الترمذى (٣٢٤)؛ سنن النسائى: ٢/ ٣٥ (دار الفكر، ١٩٣٠م).

وروى[1] قتادة[2] مثله فيأتى فضل الصلاة فى المسجد الحرام على هذا على الصلاة فى سائر المساجد بمائة ألف صلاة خلاف أن قبره أفضل بقاع الأرض.

وقال القاضى أبو الوليد الباجى[3]: الذى يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة لسائر المساجد، ولا يعلم منه حكمها مع المدينة. وذهب الطحاوى[4]:

---

(١) حول الحديث: إنه بألف صلاة كما ذكرناه سابقًا: البخارى (١١٩٠)؛ مسلم (١٣٩٤)؛ الترمذى: ١٣٢٤؛ النسائى: ٢/ ٣٥ (دار الفكر، ١٩٣٠م). والحديث فى شرح مسلم للحديث (٢٤٦٩).

(٢) قتادة بن دعامة السدوسى، من أهل البصرة، ولد ضريرًا، مفسر وحافظ للحديث، مات بواسط سنة ١١٨هـ. ترجمته: تذكرة الحفاظ: ١/ ١١٢؛ معجم تراجم أعلام الفقهاء: ص ١٦٨؛ الكاشف: ٢/ ٣٩٦؛ إنباه الرواة: ٣/ ٥٣؛ ميزان الاعتدال: ٣/ ٣٨؛ سير أعلام النبلاء: ٥/ ٢٦٩؛ طبقات ابن سعد: ٧/ ٢٢٩؛ المعارف: ص ٤٦٢؛ التاريخ الكبير: ٧/ ١٨٥؛ الجرح والتعديل: ٧/ ١٣٢؛ معجم الأدباء: ١٧/ ٩، ١٠؛ تهذيب الأسماء واللغات: ٢/ ٥٧؛ تهذيب الكمال: ص ١١٢٢؛ طبقات الحفاظ: ص ٤٧.

(٣) أبو الوليد الباجى: سليمان بن خلف بن سعد، أبو الوليد، نسبة إلى باجة بالأندلس، من كبار المحدثين، وفقهاء الشافعية، رحل إلى المشرق (١٣) سنة، كان سببًا فى إحراق كتب ابن حزم، له (الاستيفاء شرح الموطأ) واختصره فى (المنتقى) ثم اختصره فى (الإيماء)، وله (شرح المدونة) و(أحكام الفصول فى إحكام الأصول). (ت ٤٧٤هـ). ترجمته: الديباج المذهب: ص ١٢٢؛ الأعلام: ٣/ ١٨٦؛ معجم تراجم أعلام الفقهاء: ص ٣٣ - ٣٤.

(٤) الطحاوى: هو أحمد بن محمد بن سلامة الأزدى، أبو جعفر، نسب إلى طحا بصعيد مصر، إمام فقيه حنفى. له: (أحكام القرآن)، و(معانى الآثار)، و(شرح مشكل الآثار)، و(النوادر الفقهية)؛ و(العقيدة الطحاوية)، و(الاختلاف بين الفقهاء). (ت ٣١١هـ). ترجمته: الجواهر المضية: ١/ ١٠٢؛ الأعلام: ١/ ١٩٦؛ معجم تراجم أعلام الفقهاء: ص ١١٨.

إلى أن هذا التفضيل إنما هو فى صلاة الفرض، وذهب مطرف من أصحابنا إلى ذلك فى النافلة أيضًا. قال: وجمعة خيرٌ من جمعة، ورمضان خير من رمضان.

وقد ذكر عبد الرزاق فى تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثًا نحوه، انتهى.

ورواية (الجامع الصغير)[1]: رمضان بالمدينة خير من ألف رمضان.

وقال عليه السلام[2]: ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة، ومثله عن أبى هريرة، وأبى سعيد[3]، وزاد: ومنبرى على حوضى. وفى حديث آخر: منبرى على ترعة من ترع الجنة[4].

قال الطبرى[5]: فيه معنيان:

أحدهما: أن المراد بالبيت بيت سُكناه على الظاهر مع أنه روى ما يبنيه بين حجرتى ومنبرى.

---

(١) للسيوطى، والحديث فى كنز المال برقم (٣٤٨١٨) جـ٢ ١/ ٢٣٤.

(٢) مشكاة المصابيح: ١/ ١٥٣؛ الدرة الثمينة: ٢/ ٣٦٣. وهو حديث صحيح رواه أحمد والبخارى ومسلم والنسائى والترمذى عن على وأبى هريرة.

(٣) أبو سعيد: لعله يريد به الخدرى، سعد بن مالك بن سنان الأنصارى، مدنى، من صغار الصحابة، فقيه مجتهد مفتى؛ (ت ٧٤هـ) ترجمته: الإصابة: ٢/ ٣٤؛ سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٦٨؛ معجم تراجم أعلام الفقهاء: ص ١٤٩.

(٤) مشكاة المصابيح: ١/ ١٥٣؛ الدرة الثمينة: ٢/ ٣٦٣.

(٥) لعله لا يريد ابن جرير الآنف الذكر؛ وإنما مفتى مكة الحسين بن على (ت ٤٩٨هـ) سير أعلام النبلاء: ٩/ ٢٠٣ - ٢٠٤؛ السبكى: ٤/ ٣٤٩؛ الأسنوى: ١/ ٥٦٧؛ العقد الثمين: ٤/ ٢٠٠.

والثانى: أن البيت هنا القَبر، وهو قول زيد بن أسلم[1] فى هذا الحديث، كما روى: بين قبرى ومنبرى.

قال الطبرى[2]: وإذا كان قبره فى بيته اتفقت معانى الروايات، ولم يكن بينها خلاف لأن قبره فى حجرته، وهو بيته، وقوله: ومنبرى على حوضى. قيل: يحتمل أن منبره بعينه الذى كان فى الدنيا، وهو أظهر.

والثانى: أن يكون له هناك منبر.

والثالث: إن قصد منبره، والحضور عنده لملازمة الأعمال الصالحة، يورد الحوض، ويوجب الشرب منه، قاله الباجى.

وقوله: روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين: أحدهما: أنه موجب لذلك، وأن الدعاء والصلاة فيه يستحق ذلك من الثواب، كما قيل: الجنة تحت ظلال السيوف.

والثانى: أن تلك البقعة قد ينقلها الله، فتكون فى الجنة بعينها. قاله

---

(١) زيد بن أسلم: زيد بن أسلم العدوى بالولاء، مولى عمر بن الخطاب، كانت له حلقة فى المسجد النبوى، فقيه عالم مفسر كثير الحديث، ثقة (ت ١٣٦). ترجمته: تذكرة الحفاظ: ١/ ١٢٤؛ سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣١٦؛ معجم تراجم أعلام الفقهاء: ص ١٣٦؛ التاريخ الكبير: ٣/ ٢٨٧؛ البدء والتاريخ: ١/ ٦٧٥؛ الجرح والتعديل: ٣/ ٥٤٤؛ حلية الأولياء: ٣/ ٢٢١؛ تهذيب الكمال: ص ٤٥١؛ تهذيب التهذيب: ٣/ ٣٩٥؛ تاريخ الإسلام: ٥/ ٢٥١؛ تذكرة الحفاظ: ١/ ١٣٢ - ١٣٣؛ طبقات الحفاظ: ص ٢٥٣؛ شذرات الذهب: ١/ ١٩٤؛ تهذيب ابن عسكر: ٥/ ٤٤٢.

(٢) ثمة طبرى آخرى هو مفتى الشافعية الحسين بن محمد (ت ٤٩٥هـ) سير أعلام النبلاء: ١٩/ ٢١٠؛ الكامل: ١٠/ ٣٥٢. وسبق وأن ترجمت لابن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ) صاحب التاريخ والتغير.

الداوودى[1]. وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة: إن النبى ﷺ قال: فى المدينة لا يصبِرُ على لأوائها وشدتها أحد إلا كنتَ له شهيدًا أو شفيعًا يوم القيامة. وقال: فيمن تحمل عن المدينة، والمدينة خَير لهم لو كانوا يعلمون. وقال: إنّما المدينة كالكير تنفى خبثها وينصع طيبها، والنْصَع الخَلاص (وهو بفتح أولِّه، وسكون نونه، وصاد مفتوحة، فعين مهملة). وطيبها (بفتح الطاء، وتختية مشددة، أو بكسر، فسكون) وقال: لا يخرج أحد من المدينة رغبة عنها إلا أبدله الله خَيراً منه، والله تعالى أعلم، أسأل الله العظيم متوسلاً إليه بوجاهة نبيّهِ الكريم، أن يُمَتِّعنا بزيارته، وقربه، وأن يحشرنا فى زمرته، وتحت لوائه، ووالدينا وأخواننا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصِّديقين، والشُّهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، وصَلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته، وأهل بيته وسلّم وشرّف وعظّم، كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون.

***

(١) عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود، أبو الحسن، البوسنجى، فقيه محدث تفقه على ابن القفال والإسفراييني وغيرهما. (ت ٤٦٧هـ). ترجمته: طبقات الشافعية الكبرى: ٣/ ٢٢٨؛ النجوم الزاهرة: ٥/ ٩٩؛ شذرات الذهب: ٣/ ٣٢٧؛ معجم المؤلفين: ٥/ ١٩٢؛ معجم تراجم أعلام الفقهاء: ص ١٠٠.